فالسبب الثاني هو المحقق لصيرورة العبد محبوبا لله بحيث يكون
سمعه الخ فإذا صار محبوبا لله أوجبت أثبتت محبة الله له
محبة أخرى منه أي العبد لله فوق المحبة الأولى الحاصلة منه قبل
فشغلت هذه المحبة الثانية قلبه عن الفكرة والاهتمام بغير
محبوبه وهو الله عز وجل وملكت أي قهرت تلك المحبة عليه
أي على المحبوب روحه أي المحب بحيث لا تجاوزه للتعلق بغيره ولم
[illegible] إلا ولي فلم يبق فيه [illegible] محبوبه البتة فصار
ذكر محبوبه وحبه بضم الحاء والرفع ومثله بفتحتين وصفه
الأعلى العجيب الشأن كالقدرة العامة والحكمة التامة ملك زمام
قلبه أي صار ما ذكر مانعا للقلب من التلفت إلى غيره ففيه استعارة
بالكناية وتخييلية شبه القلب بالبعير الممنوع من استرساله
مع هواه استعارة بالكناية وإثبات الزمام له تخييل مستوليا
على روحه استيلاء المحبوب على محبه الصادق في محبته الذي قد
اجتمعت قوى حبه كلها له فسمع بحبه وبصره وغيرهما من بقية
المعاني صارت حافظة للمحب مانعة من لحوق ضرر به مقوية
لعمل مطلوب منه بزيادة القرب ودوامها فكأنها مختصة به لا
تتجاوزه إلى غيره ولا يريد شك أن هذا المحب أن يسمع بمحبوبه
وإن أبصر أبصر بمحبوبه وإن مشى مشى به فهو في قلبه ونفسه
وأنيسه وصاحبه ويقرب من هذا جواب العارف الأستاذ علي بن
وفا بأن يعني كنت سمعه الخ أن ذلك الكون الشهودي مرتب
على ذلك الشرط الذي هو حصول المحبة من حيث الترتيب الشهودي
حاز الحدوث المشار إليه بقوله كنت سمعه لا من حيث التقدير الوجودي
وقال في الفتوحات لابن عربي المراد به انكشاف أمر لمن تقرب إليه
تعالى بالنوافل لا أنه لم يكن الحق تعالى سمعه قبل التقرب ثم كان تعالى
عن ذلك وعن العوارض الطارئة وهذه من غرر المسائل الإلهية
نقلها في اليواقيت والجواهر والباعث في قوله في يسمع الخ للمصاحبة
مصاحبة لا نظير لها لأن الأصل في الصحبة إطلاقها على من حصل له رؤية
مع الستر و[illegible] ذلك شروط الأصوليين وتطلق مجازا على من تمذهب بمذهب إمام
كأصحاب الشافعي ولا يصح حملها هنا على شيء من ذلك [illegible]
إلا على تقديرها تصور به في الخارج فإنما يدركها من قامت به كالملاذ نذرك
[illegible] لا يمكن عبارة تحصر حقيقتها وصورتها للمخاطب [illegible] أي
حالي أحوال النفس يدركها من قامت به [illegible] أي ليست متعلقا
للعلم بحيث يصورها بها بغيرها عن غيرها خارجا [illegible] ابن القيم
جم جهة لمحاسن جمع حسن على
[illegible]
[illegible] تعالى
ولئن

ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه أي كلما
وافقني في مرادي بامتثال أوامري والتقرب إلي بمحابي فأنا
أوافقه في رغبته فيما عندي ورهبته خوفه مني فيما
يطالبني أن أفعله به عابد لرغبته وفيما يستعيذني أن
يناله عابد لرهبته فقفى وعده المحقق المؤكد بالقسم أي لأن بأن
من تقرب إليه بما مر لا يرد دعاه وأن الكل يطلب منهم الدعاء وقال
الشيخ أكمل الدين في شرح المشارق أقوى ما قاله الشراح بحسب
الظاهر في هذا الحديث كنت سمعه فلا يسمع ما لم يأذن الشرع
بسماعه ولا يبصر ما لم يأذن في النظر إليه ولا يبطش إلا ما أذن
ببطشه ولا يسعى إلا فيما أذن بالسعي إليه وبحسب الباطن
لا يزال العبد يتقرب إلى الله بأنواع الطاعات وأصناف الرياضات
ويترقى من مقام إلى أعلا منه حتى يحبه الله فيجعل سلطان
حبه غالبا عليه حتى يسلب عنه الاهتمام بكل شيء غير تقربه
إليه فيصير متخليا عن الشهوات ذاهلا عن اللذات مستغرقا
بملاحظة جنابه قدسه بحيث ما لاحظ شيئا إلا لاحظ ربه ولا التفت
إلى شيء إلا إلى ربه وهذا آخر درجات السالكين وأول درجات الواصلين
فيكون بهذا الاعتبار سمعه وبصره وهذا أتقن محبوب والذائق
يقول العبد يتقرب إلى الله بالنوافل حتى يكون الرب صفات عبده
المذكورة ليحصل له المناسبة الصفتية بين المحب والمحبوب
فإنها لا بد منها ولهذا جعل السبب فيه أداء النوافل فإن الله فاعل مختار
ليس عليه إيجاب لأحد والنوافل ليست بإيجاب فكان ذلك مناسبة
أخرى بين المحب والمحبوب وهذا يسمى قرب النوافل وثمة قرب
الفرائض وهو أعظم من قرب النوافل انتهى [illegible] وفي
أمر هذه الموافقة من الجانبين حتى اقتضى تردد الرب
سبحانه وتعالى في إماتة عبده لأنه يكره الموت والرب
تعالى يكره ما يكره عبده ويكره مساءته فمن هذه الجهة
يقتضي أن لا يميته ولكن مصلحته في إماتته فتفضل بفعل
المصلحة فإنه ما أماته إلا ليحييه الحياة الأبدية [illegible]
أمرضه إلا ليصحه بضم التحتية وكسر الصاد أي يزيل مرضه بصونه
من أهوال الآخرة والأهوال أو ليزيل عنه المكروهات الدنيوية
ويثيبه وهذا أظهر ولا افتقره إلا ليغنيه [illegible]
ولم يخرجه من الجنة [illegible] أبيه آدم إلا ليعيده [illegible]
أحسن أحوال [illegible] هذا محو الحبيب [illegible]
كلام ابن القيم [illegible]

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)